﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾

[الشعراء: 197]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

لمّا تحدثّتِ الآية السّابقة عنِ القرآن وأنَّه في كتب السّابقين، وذكْرِ دليلَين على صدقه، أحدُهما غيبيٌّ، والآخر مادّيّ، وهو ذكره في كتب السابقين: ناسب أن يُشير إلى دليلٍ آخر، وهو عِلم أحبار اليهود به في كتبهم، وهذه آية قطعيَّة، وحجّة على أهل مكّة في صدق كتاب الله تعالى، وصدقِ رسوله؛ فهو انتقالٌ من عموم الكتب السّابقة، إلى خصوص علماء بني إسرائيل.

الانتقالُ من عمومِ الكتب السّابقة إلى خصوصِ علماء بني إسرائيل

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبيِّن الآية الكريمة بطريق تنوير العقل أنَّ منَ الآيات العظيمة على صدق القرآن: علمَ أحبار اليهود بشأنه؛ وهو الدّليلُ الواضحُ على صدق الرّسول والرّسالة.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ العطفِ بالواو:

الواو في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عاطفةٌ، إمّا على محذوفٍ مقدَّر بعد الاستفهام، والتّقدير: (أتَعامَوْا ولم يكن لهم آيةً أن يعلمَه علماءُ بني إسرائيل؟)، أو على ما قبل الاستفهام من قول الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فإذا جعلناها محمولةً على الوصل، على اعتبار أنَّ الاستفهامَ مقدَّمٌ عن تأخير، والواو عاطفةٌ على ما سبقها، وكان لازمُ الآية السّابقة ما تقديرُه: (ألم تكن لهم أمارةٌ على صدق ذلك أن يطلبوا تلك الزُّبُرَ فينظروا فيها، ليصلوا إلى حقِّ اليقين؟): عُطف عليه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ﴾[1].

التَّنويهُ بشأن القرآنِ يقتضي جملًا متكاثراتٍ متتابعاتٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 99.

ولمّا كان الاستفهام على معنى التّقرير كانت الجملة في حكم الجملة الخبريَّة، فالجملتان خبريَّتان من حيث المعنى، والوصل للتّوسُّط بين الكمالَين؛ ومناسبةُ الوصل هي أنَّ الغرض منَ الجملتين معًا: التّنويهُ بشأن القرآن، فباعْتِبارِ كَوْنِ هَذِه الجُملَةِ تَنْويهًا آخَرَ بِالقُرْآنِ عُطِفَتْ على الجُملَةِ الَّتي قَبْلَها[1].

غرضُ الاستفهام وبلاغتُه في: ﴿أَوَلَمْ﴾:

الاستفهام في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يُحمَل على التّقرير عند جمهور المفسِّرين، فهو استفهام تقريريّ خبريّ، وعليه فقد جاء الوصل بالواو عطفًا على الخبر السّابق، والمعنى: (قد كان علمُ علماء بني إسرائيل لهم آيةً على صدق القرآن)؛ وهو تقريرٌ وتأكيد على وروده في علوم الأمم السابقة وكتبهم.

الاستفهامُ لتقرير المجادلين، والإنكار على الجاحدين

وإذا حُمل الاستفهام على الإنكار، على طريقة الزّمخشريّ في مثل تلك الاستفهامات، كان المعنى أنّه ينكرُ على أهل مكة تكذيبَهم بالقرآن وأمامَهم دليلٌ وآيةٌ على صدقه، وهو علمُ أحبار أهل الكتاب، فقد كانوا يسألونهم ويثِقون فيهم؛ ولا مانعَ من اجتماع الغرضَين، فإنَّ النِّكاتِ لا تتزاحم.

دلالةُ النّفي بأداة (لَم):

آثر النَّظمُ الكريم النَّفيَ بحرف (لم) في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾، وهي أداةُ نفي وجزم وقَلْبٍ، تدخل على مضارع اللَّفظِ، فتصرِف معناه إلى المضيِّ[2]، وقد استعمل النَّظمُ هذا الحرفَ دون غيره من أحرف النّفي لِما يتضمنه من قصدِ إدخال الفعل المضارع بعدَه، المفيدِ لنفي الماضي في جميعِ أزمانه، أي: أَوَلم يكن –

انطماسُ البصائرِ عنِ الاعتبار كبرٌ وعنادٌ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 192.
(2) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 44.

في أيِّ وقتٍ من الأوقات - علمُ اليهود آيةً لهم؟، ويوحي هذا الحرفُ بانطماسِ بصائرهم عنِ الاعتبار والرّجوع إلى الحقِّ كِبرًا وعِنادًا.

غرضُ تقديم شبْه الجملةِ ﴿لَّهُمْ﴾:

الاهتمامُ بمقاصد الكلام من مسالك النّظم الكريم

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿لَّهُمْ﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على اسم ﴿يَكُن﴾، وهو المصدر المُؤَوَّل مِن ﴿أَن﴾ والفعل ﴿يَعْلَمَهُۥ﴾، أي عِلمُ بني إسرائيل؛ لأنَّهم محطُّ الاهتمام، وموطِنُ الشّاهد؛ وعلى إنكارهم وجحدهم تدورُ رحى الإخبار.

نكتةُ التّعبير بلفظ ﴿ءَايَةً﴾:

قوّةُ البيان ووضوح الحجَّة وظُهور الدّلالة مجتمعةٌ في لفظِ الآية

آثر النّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿ءَايَةً﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، والآية هي الدّليل والبرهان؛ فعبَّر بها لِما تحويه هذه المفردةُ منَ الحجَّة الدّامغة، والبرهان السّاطع، والظّهور البيِّن، ليُزيل ما خيَّم على عيونهم من غِشاوة الإنكار والجَحد، بحيث لا تبقى لهم حجَّةٌ بعد أن استبانوا واستوثقوا من أهلِ الكتاب.

غرضُ تقديمِ المسنَد ﴿ءَايَةً﴾ على المسند إليه:

مدارُ البراهين والأدلّة على العلم الصَّحيح الصّادق

قُدِّم المسنَد ﴿ءَايَةً﴾ على المسنَد إليه ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ للتّشويق لمعرفةِ المسنَد إليه، وللاهتمام بمضمون الجملة، وهو علم علماء بني إسرائيل، وفي هذا التَّقديم إلماحٌ إلى عناية القرآن بالعلم، وهو اعتناءٌ راجع لاهتمام الإسلام بإعلاء شأن العقل، والتّشويقِ إلى المؤخَّر، وهو علم اليهود.

دلالةُ التّعبير بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾:

العلمُ المتجدِّدُ أوضحُ حجَّةً منَ المعرفةِ الكامنةِ

جاء التَّعبير باسم ﴿يَكُن﴾ مصدرًا مؤوَّلًا من ﴿أَن﴾ والفعلِ ﴿يَعْلَمَهُۥ﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لأنَّه أخصُّ وأعرف وأوضح من ذكْرِ المصدر[1]، وذلك للدّلالة على أنَّ علم علماء بني إسرائيل بالقرآن كان قائمًا حاضرًا وقتَ إنكار المشركين للقرآن؛ فاحتجَّ عليهم بذلك من خلال التَّعبير بالمصدر المؤوّل، لاستمرارِه ولعدم تقييده بقيد أو وصف، بمعنى أنَّ مطلق العلم به حاصلٌ.

دلالةُ استعمالِ مُفردة ﴿يَعۡلَمَهُۥ﴾:

استعمالُ مفردةِ العلم في قوله تعالى: ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ يدلُّ على يقينيّة الدّليل والبرهان على صدق القرآن، بما ثبت من علم أهل الكتاب، الموثوقِ به لدى المشركين.

بلاغةُ الاتِّساق في الإضمار في قوله: ﴿يَعۡلَمَهُۥ﴾:

الإضمارُ إذا ارتبط بالعظيم كان أقوى من اللّفظ الصَّريح

يعود الضّميرُ - في الآيات السّابقة - في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ وقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وفي قوله هنا: ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾ على القرآن، وهو الظّاهر، أي: أن يعلمَ القرآنَ، وأنَّه من عند الله، علماءُ بني إسرائيل، وقد يعود على الحكم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، والمعنى: (ألم يكن لأهل مكة آيةٌ أن يعلمَ علماءُ اليهود أنّ القرآن مذكورٌ في كُتُبهم؟) فعَودة الضَّمير على القرآنِ من غير سابقِ ذكرٍ صريحٍ له في المواضع كلِّها دليلٌ على أنَّ مدار السّياق في شأنِ القرآن العظيم؛ وهذه الضَّمائر لهي أقوى تعبيرًا من اللّفظ الصَّريح، وأحلى مذاقًا منَ الشَّهد المعتَّق، وأقوى دلالةً منَ الاستدلال الصّحيح.

نكتةُ إيثارِ الوصف بالعلماء:

التَّنبيهُ على صفة العلمِ وأثرِها في الإقرار بالحقِّ

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ مفردة ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، دون الأحبار أوِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 99.

الرّبانيّين، للتّنبيه على صفة العلمِ على وجه الخصوص، فإنَّ العلماء همُ الذين يستحضرون أثرَ العلم في الحياة، ويعملون على تحقيقه وتثبيته؛ وللإيماء إلى أنَّهم علماء، يعلمون حقائق المعاني والدّلالات؛ بالإضافة إلى ثقة أهلِ مكَّة بهم فيُقِرّوا به ولا ينكروه، ليؤمن به القوم ولا يهجروه، فإنَّ قريشًا كانوا كثيرًا ما يرجعون إليهم، ويُعَوِّلون في الأخبار الإلهيّة عليهم، فإنَّ كثيراً منهم أسلم وذكر تصديقَ التَوراة والإنجيل والزّبور وغيرها من أسفار الأنبياء ﷺ للقرآن في صفة النّبيِّ ﷺ، وفي ذلك ما يؤيّد صدقَه، ويحقّق أمره[1].

فائدةُ إضافةِ ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ إلى ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾:

الأحبارُ مصدرُ ثقةٍ لدى أهل مكّةَ

أفادت إضافة ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ إلى ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في قول الله تعالى ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أنّ مَن يعلمُ حقيقةَ القرآن هم من يثق فيهم أهلُ مكّة من أحبار يهود، وعلماءِ بني إسرائيل؛ فلا حجَّة لهم بعد ذلك في الإنكار والجَحد، حيث أقرَّ لهم علماءُ بني إسرائيل بنبوّة رسول الله وبصدْقِ القرآن.

بلاغةُ التّعريضِ في ذكر عِلم الأحبار:

إقامةُ الحجَّة على الخصم بعلم الخصمِ الألدِّ حجَّةٌ على الطَّرَفين

في قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ تعريضٌ بالأحبار والرّهبان الذين لم يُعلنوا إيمانَهم برسول الله ﷺ، حيث أنكروا أن يكون القرآن من عند الله، وأنكروا رسالة نبيّنا محمَّد ﷺ، مع أنَّه معلومٌ لديهم بالبرهان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة: 146]، وهو تعريضٌ مؤسَّسٌ على التّقرير لأهل مكّة بإخبار علماء بني إسرائيل لهم بصدْقِه حين يسألونهم، ومؤسَّسٌ كذلك على اعتراف علماء بني إسرائيل لهم بذلك.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 99.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»